# الغزو الفكري وأثره في العالم الإسلامي

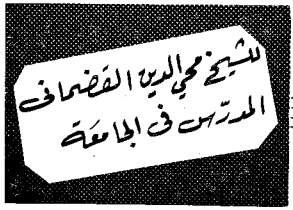


منذ أن بزغ فجر الاسلام قام الصراع بين المسلمين والذين كفروا من أهل الكتاب وهو حلقة من سلسلة الصراع القائم بين الحق والباطل من لدن آدم عليه السلام الى أن يرث الله الارض ومن عليها . وامتد الفتح الاسلامي في أطراف الارض وتقلصت بلاد النصرانية حتى حصرت في بعض أوربا تتربص بالمسلمين وتنتظر منهم غفلة وضعفا حتى لمست ذلك أيام الحروب الصليبية فقامت بحملاتها تقذف بلاد الشام وقدسها بالجيوش العاتية فاحتلت البلاد وأسست الدويلات ولكن المسلمين الذين أفاقوا من غفلتهم سرعان ما رجعوا الى ربهم فوحدوا صفوفهم وانطلقوا تحت راية صلاح الدين واذا العقيدة الاسلامية نار تحرق الصليبيين وتطارد فلولهم وترد أوربا المنهزمة الى حقدها ومكرها فتفكر في الوسيلة المجدية في أضعاف المسلمين والتسلط على بلادهم ورأت أن ذلك لايتم الا باضعاف العقيدة في نفوس المسلمين وابعادهم عن مصدر قوتهم ، وهكذا بدأت تمهد هذه المرة للاستعمار العسكري بالاستعمار الفكري لانها عرفت أن الانسان اذا فقد العقيدة فقد القوة والمنعة .

واخذت اوربا ترسل جيوش المبشرين الى الشرق محاولة أن تنزع من المسلمين حبهم لدينهم وتمسكهم باسلامهم واذا كانت قد فشلت في أن تدخل المسلمين في النصرانية في أكثر البلاد الاسلامية ، فانها قنعت في أن تفسد العقيدة ، والاخلاق في نفوس المسلمين فتنزع من هذه النفوس اعتزازها بأمتها وتعاليمها .

ففي مؤتمر القدس الذي عقده المبشرون أيام الاحتلال البريطاني خطب القسيس « زويمر » رئيس المبشرين في اخوانه المؤتمرين فبين لهم أهداف التبشير الحقيقية وقال في بعض خطبته : ان مهمة التبشير التي ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي ادخال المسلمين في المسيحية فان في هذا هداية لهم وتكريما وانما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله وبالتالي فلا صلة تربطه بالاخلاق التي تعتمد عليها الامم في حياتها وبذلك تكونون أنتم باعمالكم هذه طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الاسلامية .. لقد قبضنا أيها الاخوان في هذه



Made With Pdf Office

**الحقبة من الدهر من ثلث القـــرن التاسع عشر الى يومنا هذا عـــلى جميع برامج التعليم في الممالك الاسلامية ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير ·· الى آخر ما قال ·**

فالتبشير الذي هو استعمار فكري كان اذن لخدمة الاستعمار العسكري وتمهيدا لدخول الجيوش الاجنبيـــة وضمانا لبقائها في البلاد وكان هذا الاستعمار الفكري يعمل ضمـــــن مخططات مدروسة ويستعـــين بشتى الوسائل الممكنة ·

فقد هال المستعمرين ما رأوا عليـه المسلمين من وحدة روحية وعـادات وآداب مشتركة فحاولوا تحطيم هـذه الوحدة وتمزيق وشائج القربى بـين المسلمين فأثاروا النعرات القوميـــة وشجعوا أصحابها وتآمروا عـــلى الخلافة الاسلامية حتى قضوا عليها ليجعلوا بأس المسلمين بينهم ليعودوا أمما ضعيفة لا تملك من أمرها شيئا ·· ورأوا في اعتزاز المسلمين بدينهم واحترامهم لنبيهم خطرا عليهم لانه يجعل الغربيين الكافرين الغربـــاء مكروهين لا يركن المسلمون اليهم ولا يثقون بهم ولا يقبلون حكمهم فحاولوا تغيير هذا ولجأوا الى وسائل كثيرة منها :

فتح المدارس التبشيرية الكثيرة ، وتزويدها بالاساتذة الحاقدين عـلى الاسلام ، والاكثار من الارساليـــات التبشيرية التي تنشر باسم الديـــن الدسائس على الاسلام والشبهـــات والمفتريات على نبي المسلمـــين ، وانشاء المستشفيات ومـــــداواة المسلمين مجانا لكسب ثقتهم وحسن الاتصال بهم · ومنها نشر الكتـــب التي تدس على الاسلام باسم العلـم والمدنية والثقافة وتشجيع المجـــلات الخليعة والادب الماجن والسيطرة على دور النشر لافساد النشء الجـــديد وتمييعه · ومنها قبول عدد كبير من أبناء المسلمين للدراسة في جامعاتهم وتغذيتهم بافكارهم · ومنها تمجيـد الحضارات القديمة التي كانـــت في جاهلية الشعوب الاسلامية لالهائهـا عن نبيها وتاريخها وحضارتها ·

ومنهـــا السيطرة على مناهج التعليم في بلاد المسلمين لتوجيهه كما يريدون وذلك بامدادهم بالنـــــظم والخبراء والعمل عـــلى تعيـــين تلاميذهم ومريديهم في الوظـــــائف التعليمية الحساسة ·

ومنها تشجيع المذاهب والمباديء الهدامة من شـــيوعية ، ووجودية وفوضوية وقومية بتشجيع دعاتهـــا لاشغال المسلمين عن دينهم والهائهم عن حقيقة عقيدتهم وشريعتهم ·

ومنها افساد المرأة ودعوتها الى التبرج باسم الثقافة والحـــــرية والتقدمية لتفسد الاسرة وتصـــرف الشباب عن دينهم الى شهواتهم ·

وقد كان لهذه المخططات الخبيثـة أثرها في المسلمين مما عمـــل في اضعافهم وتمكين المستعمـــرين في بلادهم ·

**ولو اقتصر أثرهم على عدد من المسلمين دخلوا النصرانية وارتبطوا بالغرب وثقافته نهائيا لهان الامر ، ولكن أثر الغربيين في بلادنا كان أبلغ وأخطر · فقد راع المسلمين ما هـم عليه من تخلف مادي وحضـــاري وتأخر في مجال العلوم والمكتشفات ، ورأوا الغرب يرفل في ثياب المدنيـــة وظنوا ذلك مرتبطا بالاسلام وما فيه من تعاليم ، فأعجبوا بالغرب وبكل**



Made With Pdf Office

**ما يأتي به الغرب · وعلى رأس هؤلاء الشباب الذين درسوا في المدارس التبشيرية وتأثروا بتوجيهها أو مضوا الى الغرب ينهلون من ثقافته وعاداته ثم رجعوا الى بلادهم وفي أعماقهم احترام الغربيين ، واحتقار أمتهم وما هي عليه من عقيدة وثقافة وعادات وحاولوا جاهدين أن ينشروا المدنية الغربية في بلادهم· وقد أسهم الاستعمار بماله من نفوذ في بعض الاقطار الاسلامية في أن يرفع من قدر هؤلاء ويلفت اليهم الانظار ويوليهم المناصب الحساسة الموجهة في البلاد · وقد كثر هؤلاء وسيطروا على سياسة التعليم وخرجوا أجيالا تؤمن بما يؤمنون ·**

وقد تربى هؤلاء على العقيدة القومية ودعوا الى الحرية في الاخلاق ليفلتوا من رقابة المجتمع ودعوا الى تحرير المرأة ولحاقها بالمرأة الغربية · ولم تقف هذه الفئة عند حد في تقليد المجتمع الاوربي وأبت الا أن تخرج المجتمع الاسلامي من دائرة الاسلام وتقطعه عن ماضيه وتعلن التلمذة على الغرب ، والاستسلام لكل ما يأتي من عنده حتى بلغ الامر ببعضهم أن يقدس الغربيين ، ويتباكى عليهم اذا كانوا مستعمرين للبلاد وأكرهوا أن يخرجوا منها ·

فهذا طه حسين مثلا يكتب مقالا ، وهو في مصر عند جلاء الفرنسيين عن سورية ينعي على السوريين كفرهم بالنعمة وطردهم أساتذتهم ومعلميهم الحضارة ، وولى الدين يكن يتوجس خيفة من زوال الاحتلال البريطاني عن مصر ويتخيل مصر مرتعاللجهالة والتخلف لولا وجود البريطانيين المتحضرين فيها ·

وقد نفذت هذه المخططات الى أعمق من ذلك فوصلت حتى الى المصلحين والكتاب الاسلاميين الذين لم ينجوا من بعض آثارها ·

فقد استطاع الغرب بخبثه ودسائسه أن يدفع بعض الاقلام المخلصة لتعريف بعض المفاهيم الاسلامية بنية الدفاع عنالاسلام ورد الشبهات عنه · فاذا كتبالمستشرقون أن الاسلام انتشر بقوة السيف ، حاولوا أن يجعلوا الجهاد في الاسلام دفاعيا واجتهدوا في اقناع الناس بان المسلمين لم يحملوا السلاح لنشر كلمة الله كأنما نشر دين الله وحمل الناس على الحق عيب يستحى منه·

واذا كتب المستشرقون الخبثاء أن الاسلام لا يقوم على العقل جهد بعض الكتاب في أن يردوا ذلك ويتجاوزوا الحد فيخضعوا الشرع للعقل ، ويفسروا المعاني الاسلامية تفسيرا عقليا بحتا · ونحن نعلم أنه لا تناقض بين الاسلام والعقل السليم ، ولكن الايمان بالله يوجب علينا أن نخضع العقل للنص في الامور التي يصعب على العقل ادراكها وتفسيرها

كما حاول بعض المصلحين التقريب بين الاسلام والفكر الاوربي الحديث ليجعل من الاسلام في رأيه دينا تقدميا يقبله النشء الجديد من المسلمين لانه لا يتنافى مع العقل والمدنية الحديثة · ورأوا المسلمين متخلفين في ميادين العلوم وارادوا لهم التقدم ومجاراة المستعمرين في قوتهم المادية فدعوا الى الاخذ بالثقافة الغربية الحديثة ودعوا الى عدم التخوف منها فهي كلها خير · والتاريخ الحديث يخبرنا مثلا عن أحمد خان في الهند الذي رأى أن



Made With Pdf Office

الثقافة الاوربية هي سبب تفوق الاوربيين فدعا المسلمين في الهند الى التعلم في مدارس الانكليز وأدار الجامعة الاسلامية البريطانية في عليكرة وأرسل ابنه الى الجامعات الانكليزية لينهل منها ولم ينتبه الى ما في الفكر الاوربي من انحراف وتناقض مع منهج الاسلام وحقائقه وهدمللشخصية الاسلاميةالتي حرص الاسلام على استقلالها فساهم أحمد خان بهذا في هدم هذه الشخصية الاسلامية التي كانت مصدر قلق كبير للانكليز ٠

وأنا لا أعنى أن نبقى جهالا وأن لا نستفيد مما عند الغربيين من رقي مادي وتقدم علمي فالعلم فريضة ، ولكن علينا أن نعرف ما نأخذ وما ندع علينا أن نحسن الاختيار في اقتباسنا ولا نتهالك على ما عند أعدائنا كما يتهالك الفراش على النار الموقدة ٠ فنحن يمكننا أن نأخذ من الاوربيين وغيرهم العلوم البحتة كالكيمياء والفيزياء والطب والصناعة وغيرها مما هو نتاج الفكر وحده فهذا يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم : « أنتم أعلم بأمر دنياكم » ٠ **أما ما يتعلق بتصور المسلم عن الحياة والكون والانسان وغاية وجوده وما يتعلق بالمباديء والشرائع وما يتعلق بالاخلاق ، والمعادات والقيم والمفاهيم ، التي تكون ملامح المجتمع المسلم فهذا كله لا يجوز أن نأخذه عن الغربيين ونتتلمذ فيه عليهم لان هذا كله يكون شخصية المسلم ونظرته الى الحياة ، ولا يجوز للمسلم أن يتلقى هذا الا عن ربه ولا يعتمد في تعلم ذلك الا على مسلم يثق بعلمه وتقواه ٠ أولم ينبهنا الله تعالى الى خطر الاخذ في مثل هذا عن أهل الكتاب لانهم ضالون ؟ أولم يسمع المسلمون قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين » ان هؤلاء الغربيين انحرفوا عن الحق حين أعرضوا عن ربهم وكفروا بالآخرة ولم يريدوا في تفكيرهم الا الحياة الدنيا ، لذلك جاءت حضارتهم منحرفة لا يجوز اتباعها والثقة بها ، والله تعالى يقول : « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى »** ٠

ولو أخذ المسلمون عن الغربيين ما عندهم من علوم مادية بحتة واعتمدوا في دراسة العقائد والشرائع والاخلاق والعلوم النفسية والاجتماعية على ما عندهم من مصادر اسلامية ، لتقدمت البلاد الاسلامية في المجال المادي دون أن تقع فيما وقعت فيه من فساد العقيدة وانحلال الاخلاق وضعف الشخصية مما زاد في تفكك المجتمع الاسلامي وتخلفه ٠

فالاستعمار الفكري الذي توغل في بلاد المسلمين وكان له أثره الكبير فيها كان اذاً أخطر من الاستعمار العسكري ٠ لان الاستعمار العسكري مكشوف واضح لكل ذي عينين وهو يحمل في طبيعته كراهيته ويدفع الامة المستعمرة بما فطر الانسان عليه من حب للحرية والكرامة الى أن تحاربه وتحاول التخلص منه ٠

لذلك لم يستطع الاستعمار العسكري أن يدوم طويلا في بلاد المسلمين لان الاسلام بما يغرسه في نفوس المسلمين من روح الجهاد وحب الشهادة في سبيل الله وبما



Made With Pdf Office

يزرعه في أذهان المسلمين من أن المشركين نجس وأنه يحرم على المسلم أن يخضع لحكم كافر وأن عليه أن يجاهده ويقضي عليه ما وجد الى ذلك سبيلا · كل هذا كان كافيا في أن لا يمكن للمستعمرين ولا يديمهم طويلا في بلاد المسلمين ·

اذا كان هذا شأن الاستعمار فان الاستعمار الفكري يختلف كثيرا عنه فهو كالشرك الخفي اخفى من دبيب النمل وهو أشد ايذاء وفتكا بأبناء البلاد المستعمرة لانه يجعل من أبناء البلاد أعوانا للمستعمرين دون أن يشعروا بجريمتهم وهم بدورهم أشد جرأة على هدم شخصية الامة وتحطيم بنيانها من المستعمرين الغرباء ·

وقد استطاع أعداء الاسلام على يد تلامذتهم الفكريين أن يحطموا وحدة العالم الاسلامي ويهدموا بنيان أخلاقه وعقيدته · فاذا الروح القومية تجعل المسلمين دويلات يسهل على المستعمرين اقتسامها واذا تحرر المرأة من حيائها وتحرر الرجل من أخلاقه يهدم في المسلمين تماسكهم ويميت روح الجهاد في نفوسهم فيميلون الى التخنث والاستمتاع بالدنيا وشهواتها ، واذا باحترام المسلمين للغربيين والشعور بالنقص أمامهم وأمام حضارتهم الزائفة يجعل من المسلمين تلامذة متواضعين يقفون كالمتسولين يأخذون كل ما تجود به فضلات موائد المستعمرين من أفكار هدامة وفلسفات منحرفة وأنظمة مخالفة لطبيعة البلاد الاسلامية ·

**ويقف المسلمون المخلصون متألمين بينما يبيت المستعمرون الخبثاء ناعمي البال وقد حمل عنهم بعض المسلمين الاغبياء التهديد والتخريب وكفوهم مؤونة الحرب ·**

**وهكذا نرى أن استعمار أفكار الامة أخطر من استعمار بلادها ومرافقها العامة وأن الدول الاجنبية مهما ملكت من طاقات جبارة لا تملك أن تخطط للمسلمين وتقودهم وفق مصلحتها بشكل أفضل مما يقوم به العملاء المنحرفون من خدمة لهذه الدول الاجنبية والعمل في مخططاتها·**

**ولا يفوتني أن أنبه الى أنني لا** أرى أن حالة المسلمين قبل احتكاكهم بالغرب وتأثرهم به كانت حالة مرضية · لا فقد كانت أوضاعهم سيئة · ولكن هذا العالم الاسلامي الذى صحا على أصوات مدافع الغربيين تدك حصونه وتقتل أبناءه كان عليه أن يتلمس طريقه الصحيح ويبني قوته على أساس متين ويقتبس من الغرب ما ينفعه ويهجر ما يضره ولكنه لم يفعل بل تخبط في مسيرته وانحرف في اتجاهه حتى وصل الى حالة من الضعف مزرية ·

**رب يوم بكيت فيه فلما**

**صرت في غيره بكيت عليه**

ولكن الفرصة لم تفتنا فبعد أن تحررت معظم أقطار المسلمين من الاستعمار العسكري ما علينا الا أن نعمل لنحرر نفوس المسلمين مما علق بها من آثار الاستعمار الفكري وهذه مصادر الشريعة لا تزال بين أيدينا خالصة من كل تحريف · وما وصلنا اليه من فوضى فكرية كاف لان يعيدنا الى ديننا تائبين · « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » ·



Made With Pdf Office